النجـــــــاة

(حجـرة جلوس. فى الوسط مـدفأة حائـط مشتـعلة. إلى اليـمين من المدفأة بـاب حجـرة النوم وإلى اليـسار منهـا باب حجـرة المكتب. فى نهاية الجانب الأيمن لحـجرة الجلوس باب هو باب الشقة. إلى اليسار يوجد بار وتليفزيون. رجل يجلس على مقعد كبير أمام المدفأة، يرتدى روبا. ويطالع فى كتاب)

(جرس الباب الخارجى يرن بغتة رنينا متواصلا)

(يقوم الرجل إلى الباب، يفتـحه، تندفع إلى الداخل امرأة جميلة مـرتدية معطفا وبيدها حـقيبة. تندفع وكـأنها تجرى ثم تقف وهى تلهث. الرجـل ينظر إليهـا بدهشـة ودون أن يغلق الباب. واضح من نظراته أنه لا يعرفها ولـم يكن ينتظرها)

الــــرجـــــل : (بتردد وارتباك) ولا مؤاخذة . . حضرتك؟

المــــــــــرأة : (بلهفة) أغلق الباب، من فضلك أغلق الباب .

(الرجل يغلق الباب بذهول)

الــــرجـــــل : وحـــدك؟

المــــــــــرأة : نعـــم .

(يقفان وهما يتبادلان النظرات)

المــــــــــرأة : إنى مرهقة، تسمح لى بالجلوس؟

الــــرجـــــل : تفضـــلى .

(يجلسان على مقعدين متقاربين أمام المدفأة. تسند المرأة رأسها إلى يدها فى إعياء. يعلو صدرها وينخفض بشكل محسوس. الرجل يتفحصها بدهشة، ويبدو ـ رغم غرابة الموقف ـ أن محاسنها أثرت فيه بعض الشيء)

الرجل : أنا وحدى، ذهبت الخادمة عقب إعداد العشاء. ولكنى سأجيئك بكوب ماء.

(يقوم إلى البار فيملأ كوبا من دورق ثم يقدمه إليها. المرأة تشرب نصفه ثم تضعه على خوان بين المقعدين)

المرأة : آسفة جدا لإزعاجك.

الرجل : أنا فى خدمتك.

المرأة : شكرًا.

الرجل : يلزمنى شيء؟

المرأة : أكرر الأسف، الواقع أننى لا أدرى ماذا أقول.

(صمت)

: سلوكى يتطلب تفسيرا ولكنى لا أدرى ماذا أقول.

الرجل : استردى أنفاسك أولا.

المرأة : ماذا أقول؟ مهما يكن فإنى أتوسل إليك أن تكرمنى.

الرجل : وهل فى ذلك شك؟

المرأة : أعنى أن تعاملنى معاملة تليق بامرأة فى أشد حاجة إلى..

الرجل : إلى؟

المرأة : الحماية!

الرجل : ماذا يهددك؟

(صمت)

: (مستدركا) لكنى لم أتشرف بعد؟
المـــــــرأة : لا يهم هذا على الإطلاق.
الـــرجـــل : ولكنه ضرورى فيما أعتقد.
المـــــــرأة : كلا، لن يقدم ولن يؤخر!
الـــرجـــل : لن أضـايقك، ولكن ثمة سـؤال آخر، هل قـصـدتنى بالذات؟.. هل تعرفيننى؟
المـــــــرأة : بابك أول باب فتح لى، هذا كل ما هنالك.
الـــرجـــل : هل طرقت أكثر من باب؟
المـــــــرأة : نعـــم.
الـــرجـــل : ماذا يهددك؟
المـــــــرأة : أكرمنى بألا تخبر أى طارق عنى!
الـــرجـــل : (بقلق) هل يتوقع مجىء من يتعقبك؟
المـــــــرأة : نعـــم.
الـــرجـــل : رجل أم امرأة؟
المـــــــرأة : رجـــل!
الـــرجـــل : (بعد تردد) زوجك؟
المـــــــرأة : كــــلا.
الـــرجـــل : صديق؟.. قريب؟
المـــــــرأة : ألا تتكرم بحمايتى دون تحقيق؟
الـــرجـــل : ولكـــن...
المـــــــرأة : (مقاطعة) لعلك تعمل حساب أهل بيتك؟
الـــرجـــل : لا يوجد فى البيت سواى.
المـــــــرأة : ولكن عما قليل سترجع زوجتك؟
الـــرجـــل : لست متزوجا.

المـــــرأة : تنتظر ولا شك أحدا ممن يقيم معك؟
الـــرجـــل : إنى أقيم هنا بمفردى .
المـــــرأة : عظيم، ستكون المهمة سهلة لو تكرمت بالموافقة .
الـــرجـــل : ولكن يلزمنى بصيص نور .
المـــــرأة : لن يمسك سوء!
الـــرجـــل : ولكنى أود أن أعرف المسئولية التى سأتحملها!
المـــــرأة : لن تمضى ساعات حتى أغادر مسكنك إلى الأبد كأنى شىء لم يكن .
الـــرجـــل : (مداريا ارتباكه بابتسامة) ستظلين شيئا لا يمكن نسيانه .
المـــــرأة : غزل أم تحقيق؟
الـــرجـــل : كنت أفضل أن يكون غزلا خالصا .

(صمت)

: إذا شرفتنى وقتا ثم ذهبت دون أن يعلم أحد فلا حرج، ولكن إذا جاء أحدهم يتعقبك فيلزمنى بصيص نور قبل أن أنكر وجودك .
المـــــرأة : لن تقع عليك مسئولية ما .
الـــرجـــل : بل قد أجر إلى متاعب لا تخطر ببال!
المـــــرأة : لا تهول .
الـــرجـــل : لا تتركينى فى ظلام .

(صمت)

: أرجوك، لا تضطرينى إلى . .
المـــــرأة : إلى تسليمى لأول طارق!
الـــرجـــل : أرجوك أن تفهمى موقفى جيدا .
المـــــرأة : إنى أتعلق بأمل وحيد، ببقية من الشهامة البطولية القـديمة .

الــــرجـــــل : من المؤسف أن عهد الفروسية والملاحم قد ولى .
المــــــــــرأة : فى حالة اليأس يفزع القلب إلى زمن الأساطير !
الــــرجـــــل : أنا يا سيدتى رجل لا أسطورة .

(صمت)

: فكرى من فضلك وأجيبى .
المــــــــــرأة : لكنى عاجزة تماما .
الــــرجـــــل : قبل أن تفوت الفرصة .
المــــــــــرأة : كن كريما إلى النهاية .
الــــرجـــــل : (غاضبا) إنى أشم رائحة مقلقة للأعصاب .
المــــــــــرأة : أى رائحة؟
الــــرجـــــل : جريمة ما!
المــــــــــرأة : لا تدفعنى إلى الانتحار !
الــــرجـــــل : ماذا فعلت؟

(جرس البـاب يرن. المرأة تقف فزعـة. تهرع إلى باب حـجرة النوم. تدخل ثم تغلق البـاب من الداخل. الرجل يحـاول فتح الباب فلا يستطيع. الجرس يرن مرة أخرى)

: افتحـــى .
المــــــــــرأة : كــن كريمــا .
الــــرجـــــل : لا تجرينى إلى مأزق .
المــــــــــرأة : كن رحيمــا .
الــــرجـــــل : سأتصرف كما ينبغى لى .
المــــــــــرأة : إذا اعترفت بوجودى هنا رميت بنفسى من النافذة .
الــــرجـــــل : أنت مجنونة!
المــــــــــرأة : أنا عاقلة جدا .

الـــرجـــل : إنك تجازينى خير جزاء .

المــــــرأة : إنى آسفة ولكننى مضطرة !

الـــرجـــل : انتظرى . . لا تتعجلى .

(يذهب إلى البـاب لاعنا متسـخطا. يفتح البـاب. يدخل رجل ضاحكا ثم يرد الباب)

الصـــديـق : كـنت نائمـــا؟

الـــرجـــل : أنت عليك اللعنة !

الصـــديـق : يا له من استقبال .

(يتجهان نحو المدفأة)

: ماذا حدث فى العمارة؟

الـــرجـــل : لا شـىء !

الصـــديـق : وأنـا قـادم إلى زيارتك وجدت الشرطة تحاصر العمارة . لم أستطع المرور إلا بعد س و ج .

الـــرجـــل : حقا ! . . ماذا حدث؟

الصـــديـق : لم أفـهـم شـيئـا ، لم يرد على أسـئلتى أحـد ، ولكن ثمـة حـادث أو جريمـة ، والأمر المؤكد أنهم يبحثون عن امرأة هاربة .

الـــرجـــل : أيـــن؟

الصـــديـق : فى مكان مـا بالعـمـارة ، العـمـارة محتلة بالقـوات ، ألم تشعر بشىء؟

الـــرجـــل : أبـــدا .

(يجلسـان. الـصـديق يجلس فى مكان المرأة. يـتـشـمم الجـو بدهشة) .

الصـــديـق : رائحة امرأة !

الـــرجــــل : ترى أى جريمة وأى امرأة؟

الصـــــديـق : لا تشغل بالك، ستعرف كل شيء صباح الغد، ولكنى أقول إنه توجد رائحة امرأة.

الـــرجــــل : رائحـة امـرأة؟

الصـــــديـق : رائحة ذكية، هل عندك حبوبة؟

الـــرجــــل : كـــلا.

الصـــــديـق : وهذه الرائحة؟

الـــرجــــل : كان ثمة صديقة تزورنى.

الصـــــديـق : مبارك عليك، ولكن مالك؟

الـــرجــــل : على خير ما يرام.

الصـــــديـق : كلا، لست كعادتك.

الـــرجــــل : لعله البرد.

الصـــــديـق : (مـشيـرا إلى المدفـأة) إنك تنعـم بفـردوس فـى هذا الشتـاء القاسى.

(صمت)

: أهى ممن أعرفهن؟

الـــرجــــل : مـن تعـنى؟

الصـــــديـق : المرأة التى كانت هنا.

الـــرجــــل : كـــلا.

الصـــــديـق : ولـمَ انصرفت مبكرة؟

الـــرجــــل : يكَفى تحقيق واحد فى العمارة.

الصـــــديـق : ذكرتنى، ترى ماذا حدث؟

الـــرجــــل : أجل ماذا حدث؟

الصـــــديـق : إنك تعرف عن فيتنام أكثر مما تعرف عن شقة مجاورة فى عمارة حديثة.

الــــرجـــــل : أى جريمة؟ . . وأين اختفت المرأة؟
الصـــــديـق : لا تشغل بالك، الجرائم وجبات يومية .
الــــرجـــــل : والمـــرأة؟
الصـــــديـق : قاتلة . . شريكة فى جريمة قتل . . سر جريمة ما .
الــــرجـــــل : وأين يمكن أن تختفى؟
الصـــــديـق : لعلهم عـثـروا عليـهـا، إلا إذا كـانـت أصـلا من سكان العمارة .
الــــرجـــــل : فكـــرة .
الصـــــديـق : أو تكون لجأت إلى شقة ما .
الــــرجـــــل : لا أحـد فى اعـتـقـادى إلا إذا كـان له ضلع فى الحكاية .

(الرجل يقـوم، يبتعـد إلى جناح الحجـرة البعـيدة عن حـجرة النوم. يشير إلى صاحبه أن يتبعه فيلحق به)

الــــرجـــــل: (هامسا) أنا واقع فى مشكلة .
الصـــــديـق : أى مشكلة؟

(جرس الباب يرن)

: هل تنتظر أحدا؟

(الرجل يمضى إلى الباب بعد تردد. يفتح)

صوت من الخارج : تسمح لى بالدخول؟
الــــرجـــــل : تفضـــــل .

(يدخل ضابط. يقدم نفسه)

الـضـــــابـط : نحن نبحث عن امرأة هاربة فى العمارة .

(الرجل يتظاهر بالدهشة ويتساءل)

الــــرجـــــل : أية امـــرأة؟
الـضـــــابـط : امرأة هاربة، ويهم الأمن العام القبض عليها .

الـــــرجـــــل : لم يلجأ إلى شقتى أحد .
الـضــــابـط : حضرتك رب الأسرة؟
الـــــرجـــــل : إنى أقيم بمفردى هنا، (ثم مشيرا إلى صديقه) هذا صديق زائر .
الـضــــابـط : تسمح بالبطاقة الشخصية .

(الرجل يذهب إلى حجرة المكتب ثم يعود بالبطاقة. الضابط يقرأها بعناية. ثم يقدم له ورقة مكتوبة ويقول)

: هذا إقرار بأن المرأة لم تلجأ إلى شقتك هذا المساء، وقعه بإمضائك، وأود أن أذكرك بخطورة الأمر إذا ثبت ما يخالفه .

(الرجل يوقع الإقرار. الضابط يتناوله. وينصرف. الرجل يغلق الباب. يعود إلى صديقه حيث كان يقف فى وسط الحجرة)

الصــــديـق : الظاهر أن الجريمة أخطر مما نتصور .
الـــــرجـــــل : ليست إلا إجراءات روتينية .
الصــــديـق : لا تشغل بالك، كنت تتحدث عن مشكلة .
الـــــرجـــــل : مشكلة؟ !
الصــــديـق : الضابط شتت عقلك .
الـــــرجـــــل : ربمـــا .
الصــــديـق : لنعد إلى مشكلتك .

(صــمت)

: ألا تريد أن تحدثنى عن مشكلتك؟
الـــــرجـــــل : جد ما هو أهم .
الصــــديـق : لا تشغل بالك بهموم لا تخصك .

الـــرجـــل : أليس من الجائز أن تستصدر الشرطة أمرا بالتفتيش العام إذا لم تعثر على المرأة؟

الصـــديـق : جــائـز .

الـــرجـــل : وقد يفتشون شقتى!

الصـــديـق : إنه احتمال ضعيف على أى حال .

الـــرجـــل : ولكنه جـائـز .

الصـــديـق : عندك فرصة للتخلص من الأشياء المحرجة .

الـــرجـــل : كيـــف؟

الصـــديـق : النافـــذة .

الـــرجـــل : العمارة محاصرة .

الصـــديـق : النــار .

الـــرجـــل : ليست جميع الأشياء قابلة للاحتراق .

الصـــديـق : أنت مجنون ، طالما حذرتك ، ولكن احتمال التفتيش احتمال ضعيف ، إنها امرأة وليست إبرة وسيعثرون عليها عاجلا .

الـــرجـــل : تستطيع أن تقدم لى خدمة .

الصـــديـق : اسمع ، أنت تعلم أنه لا شأن لى بهذه الأمور الخطرة ، دع صداقتنا فى المنطقة البريئة .

الـــرجـــل : نحن فى زمن الخوف من الشرطة ، أما شهامة الأساطير فقد ولى زمانها!

الصـــديـق : الخوف من شىء حقيقى ، أما الأساطير!

(صمت)

: أود أن أطمئن عليك .

الـــرجـــل : دون أن تقدم خدمة ما .

الصـــــديـق : كلانا يعرف الحدود التى يتحرك فيها الآخر .

الـــرجـــل : إنى فى حاجة إلى الانفراد بنفسى وكل ما أطلبه منك أن توافينى بأية معلومات جديدة بالتليفون .

الصـــــديـق : بمجرد عودتى إلى مسكنى .

(يتصافحان. يوصله حتى الباب الخارجى. يغلق الباب ثم يعود مسرعا إلى باب حجرة النوم) .

الـــرجـــل : سيدتى . . تعالى . . لا أحد بالشقة سواى .

(تفتح الباب. تخرج. يقفان وجها لوجه)

: إنك تلقين بيأسك فوق رأسى .

المـــــــرأة : جئت باندفاع لا اختيار فيه ثم وقعت فى فخ .

الـــرجـــل : سيعودون للتفتيش .

المـــــــرأة : لا تهتم بى فإنى أعرف كيف أتصرف .

الـــرجـــل : إنى لا أهتم إلا بنفسى فى الواقع .

المـــــــرأة : هذا حقك وإنى آسفة لحد الموت .

الـــرجـــل : إنك تخلفين لى مشاكل ومضاعفات .

المـــــــرأة : لم تعد بيدى حيلة .

الـــرجـــل : لِمَ تبحث الشرطة عنك؟

(صمت)

: لِمَ تبحث الشرطة عنك؟

المـــــــرأة : إنهم يبحثون عن كثيرين . . . !

الـــرجـــل : شــركائك؟!

المـــــــرأة : وغيـــرهم .

الـــرجـــل : (محتدا) ماذا تعنين؟

المـــــــرأة : (باسمة) سمعت ما دار بينك وبين صديقك .

(صمت وهو ينظر إليها غاضبا)

الرجل : تهددينني؟!

المرأة : ربما كنا فى الهوى سوا.

الرجل : افتراء.

المرأة : آسفة.

الرجل : أنا رجل محترم.

المرأة : وأنا امرأة محترمة.

الرجل : هذا يتوقف على مضمون الاحترام عند كلينا.

المرأة : بمعنى آخر فكلانا غير محترم.

الرجل : هل نمضى الوقت فى جدل وسمر؟

المرأة : إنى آسفة وحزينة.

الرجل : فاتنى أن أعترف للضابط بالحقيقة.

المرأة : لم لَم تفعل؟

الرجل : أعترف بأننى لم أحسن التصرف.

المرأة : بل أحسنت التصرف وإلا لأثرت الشبهة فى وجود علاقة بينك وبين المرأة المنتحرة.

الرجل : كانت الحقيقة ستظهر على أى حال.

المرأة : ربما، ولكن بعد تفتيش غير مرغوب فيه، ترى ماذا تحوى شقتك الأنيقة من أسرار خطيرة؟

الرجل : سخريتك تقطع بأنك معتادة للإجرام.

المرأة : أو غاية من اليأس.

الرجل : ماذا ارتكبت؟

المرأة : محض فعل مألوف فى التاريخ، ولكن الشرطة تصفه بأنه جريمة، وأنت؟

الـــرجــــل : لا أسمح بالتحقيق معى، ولكن خبرينى أى جريمة ارتكبت؟

المـــــــرأة : ما أهمية ذلك؟ . . أى تحسن يمكن أن يضيفه إلى موقفنا؟

الـــرجــــل : هل عرفوا شخصك؟

المـــــــرأة : محتمـل جـدا .

الـــرجــــل : ليس مؤكـدا؟

المـــــــرأة : لا يوجد فى هذه الليلة شىء مؤكد .

الـــرجــــل : جربى أن تغادرى شقتى بوصفك امرأة أخرى .

المـــــــرأة : لن يدعونى أمر دون تحقيق، وغالبا يوجد مخبر فى الطرقة الخارجية، وسيجرونك للتحقيق، وسوف تنكشف الحقيقة .

الـــرجــــل : أيـة حقيقـة؟

المـــــــرأة : حقيقتى وحقيقتك .

الـــرجــــل : (غاضبا) لا تدفعينى للخروج عن حدود اللياقة .

المـــــــرأة : معــذرة .

الـــرجــــل : أنت تؤجلين الخطر ليس إلا .

المـــــــرأة : لا حيلة لى .

الـــرجــــل : لو كنت مكانك!

المـــــــرأة : لو كنت مكانى؟

الـــرجــــل : لسلمت نفسى إلى الشرطة .

المـــــــرأة : هذا حل طبيعى ومعقول لمشكلتك . . .

الـــرجــــل : ولمشكلتك أيضا ما داموا سيجيئون فى النهاية حتما .

المـــــــرأة : ليس حتمـا!

الـــرجــــل : (غاضبا) ولكنك تراهنين بحياتى!

المـــــــرأة : أمر مؤسف حقا ولكننى أفضل الانتحار على التسليم .
الـــرجـــل : افعلى بنفسك ما تشائين ولكن بعيدا عنى . .
المـــــــرأة : ليتـه ممكـن !
الـــرجـــل : أى قدر قذفنى بك .
المـــــــرأة : هو الذى رمانى إليك .
(تضحك ضحكة عصبية)
الـــرجـــل : تمزحين كما لو كنت فى حفل استقبال .
المـــــــرأة : إذا انقطع الأمل فعلينا أن نعاشر اليأس معاشرة حسنة .
الـــرجـــل : ولكن الأمل لم ينقطع بعد .
المـــــــرأة : حقـــا؟
الـــرجـــل : أستطيع أن أطردك .
المـــــــرأة : سأحاول الانتحار كآخر وسيلة دفاع فى يدى .
الـــرجـــل : تهـددينى؟
المـــــــرأة : موقف مؤسف مخجل ولكننى لم أخلقه بإرادتى .
الـــرجـــل : أنت مجرمة بالسليقة .
المـــــــرأة : (باسمة) لعلنا من سليقة واحدة .
الـــرجـــل : (ثائرا) لتنشق الأرض وتبلعك .
المـــــــرأة : أول مرة يعاملنى رجل بهذه المعاملة .

(الرجل ينقض عليها فاقدا أعصـابه ليشدها ناحية الباب. هى تقاوم بيأس. يقوم بينهما شد وجذب.
يختـل توازنه فيـقعـان على ديوان ويستـمر الصـراع بينهـما. وبالاستمرار لا تكاد تختلف حركـاتهما عن مبادلات العشق. ويتغـير مذاق الصـراع وحدته. ويخلق جـو جديد لم يكن فى الحسبـان فتستغله الأعـصاب المتوترة اليائسة. وإذا به يضـمها بين ذراعيه وينهال عليها تقبيلا.

ينخفض الضوء رويدا حتى يسود الظلام.

ثم يعود رويدا رويدا حتى يبلغ حاله الأولى.

الآن كلاهما يجلس على مقعد كما كانا أول الأمر.

هى تنظر إلى السقف وهو يرنو إلى نيران المدفأة)

الرجل : ترى ماذا يحدث فى الخارج الآن؟

(صمت)

: ترى ماذا يحدث فى الخارج؟

المرأة : كما يحدث فى الداخل.

الرجل : ماذا تعنين؟!

المرأة : جرائم ترتكب باهتمام وجنس يمارس بلا اهتمام.

الرجل : وبلا حب؟

المرأة : لحظات عناق تنتزع من بين الكلمات ولى الأذرع.

(صمت)

الرجل : والعمل؟

المرأة : هل تحاول طردى مرة أخرى؟

(صمت)

الرجل : وما جريمتك؟

المرأة : وما جريمتك؟

الرجل : من حقى أن أسألك وليس ذلك من حقك.

المرأة : من واجبى ألا أتكلم.

الرجل : لست على أى حال من الشرطة.

المرأة : على سكوتى تتوقف سلامة آخرين.

الرجل : تزييف نقود؟.. مخدرات؟.. دعارة؟.. سياسة؟

المرأة : جميعها ظاهرات اجتماعية.

(صمت)

الـــرجـــل : متزوجــة؟
المـــــــرأة : لا أجيب عن هذا السؤال بعد ما كان .
الـــرجـــل : هل كانت أول مرة تخونينه؟
المـــــــرأة : ألا ترى أننى أفضل الموت على الخيانة؟
الـــرجـــل : إذن سلمت حبا وكرامة؟
المـــــــرأة : حالة هستيرية لَيس إلا .
الـــرجـــل : نـادمـة؟
المـــــــرأة : لا وقت للندم .
الـــرجـــل : هبينى دعوتك مرة أخرى؟
المـــــــرأة : مرت فترة كافية لبلوغ سن الرشد .
الـــرجـــل : هل نفترق كغريبين؟
المـــــــرأة : كما التقينـــا!
الـــرجـــل : لا شيء يجمعنا؟
المـــــــرأة : الجريمة هى ما يجمعنا .

(صمت)

: هل أنت أعزب؟
الـــرجـــل : نعـــم .
المـــــــرأة : لم لَم تتزوج؟
الـــرجـــل : لَم أطعن فى السن بعد .
المـــــــرأة : ومتى تطعن فى السن؟
الـــرجـــل : لعلى أنتظر أن تجرفنى امرأة إلى الزواج ، ولكن ألا ترين أننا نسمر كأننا نستمتع بسهرة طيبة؟
المـــــــرأة : هو خير من الصمت .
الـــرجـــل : الأغلال تقترب من أعناقنا .

المــــــــرأة : لا تذكرنى بذنبى حيالك .

الــــرجـــــل : ثمة فرصة لتجربة الحظ .

المــــــــرأة : وهـــى؟

الــــرجـــــل : أن تخاطرى بالذهاب .

المــــــــرأة : لو كان الأمر يتعلق بى وحدى لفعلت .

الــــرجـــــل : تدوسيننى فى طريقك بلا رحمة .

المــــــــرأة : كما داسنى آخرون .

الــــرجـــــل : مالى أنا وذلك كله!

(يتملكه غضب مباغت. ينهض قائما بعنف. يقبض على ساعدها ليشدها ولكنها تخلص ساعدها بهدوء)

المــــــــرأة : كلا . . لا يتكرر شىء واحد مرتين بطريقة واحدة .

الــــرجـــــل : أنت . . أنت . .

(جرس التليفون يرن. ينتقل إليه حيث يوجد على حامل قرب البار)

الــــرجـــــل : آلـــو .

: . . . . . .

الــــرجـــــل : تأخرت . . أين كنت؟

: . . . . . .

الــــرجـــــل : ماذا تقول؟

: . . . . . .

الــــرجـــــل : غير معقول ، ألم تعرف السبب؟

: . . . . . .

الــــرجـــــل : شىء عجيب حقا .

: . . . . . .

الـــرجــــل : بخير كما تركتنى .

: . . . .

الـــرجــــل : لست وحدى . . أقصد أننى منفرد بهمومى !

: . . . .

الـــرجــــل : أبدا أبدا . . وحدى كما تركتنى .

: . . . .

الـــرجــــل : أنت مجنون . . أى أفكار جنونية تساورك؟

: . . . .

الـــرجــــل : لا موجب لإساءة الظن ، إلى اللقاء . .

(يضع السماعة ثم يعود إلى مقعده. يتبادل مع المرأة نظرات حائرة)

الـــرجــــل : إنه الصديق الذى كان هنا .

المـــــــرأة : وماذا قال لك؟

الـــرجــــل : ماذا حصل للدنيا؟ . . الشوارع المحيطة بنا غاصة بالجنود! . . من أنت؟ !

المـــــــرأة : لست إلا امرأة سيئة الحظ كما ترى .

الـــرجــــل : بيدك حل هذا اللغز .

المـــــــرأة : يستوى لدينا أن يضرب الحصار حول العمارة أو حول الحى كله .

الـــرجــــل : ولكن لا يجمعهم بهذه القوة إلا شىء خطير .

المـــــــرأة : لست هذا الشىء .

الـــرجــــل : لعلك الخيط الذى يوصل إليه .

المـــــــرأة : جنبنا مناقشة عقيمة .

الـــرجــــل : لن أسمح لك بالقضاء علىّ .

المــــــــرأة : ضيعت فرصة الاعتراف بالحقيقة وهى غلطتك .

الـــرجــــل : لن أضيع بسبب غلطة .

المــــــــرأة : لماذا تعود إلى الغضب ولم يجد جديد على الموقف؟

الـــرجــــل : الهلاك بات أقرب مما نتصور .

المــــــــرأة : نحن مقامرون، والمقامر العاقل يجب أن يوطن نفسه على الهلاك .

الـــرجــــل : أنت امرأة مقامرة .

المــــــــرأة : وأنت أيضا، لا سبيل إلى النكران .

الـــرجــــل : لم أتوقع أبدا أن أضيع بمثل هذه الطريقة السخيفة .

المــــــــرأة : جميع طرق الضياع سخيفة .

الـــرجــــل : أود أن أقتلك ولو اضطررت إلى قتل نفسى .

المــــــــرأة : هاك طريقة سخيفة أخرى .

الـــرجــــل : كل هـذا وأنا لا أعـرف من أنت ولا أدرك شـيئا ممـا يقع حولى .

المــــــــرأة : لا أهمية للتفاصيل، حسبك أن تعرف أننا مطاردون، وأن حولنا وفوقنا وتحتنا أعداء مصممون!

(صمت)

: **(وهى تبتسم متوددة)** لا تضخم سوء الحظ بالغضب .

(صمت)

: عندى اقتراح .

(ينظر نحوها بامتعاض ودون أن ينبس)

: نحن فى حاجة إلى ترفيه .

الـــرجــــل : ترفيـــه؟!

المــــرأة : لم لا؟ . . إنهم يسألون المحكوم عليه بالإعدام عن رغبته الأخيرة .

الــرجــل : أنت مجنــونة .

المــــرأة : لنشرب كأسين .

الــرجــل : وما حولنا وفوقنا وتحتنا؟

المــــرأة : أنا أعتبر نفسى منتهية ، وأعترف لك بكل أمانة أن جانبا منى راض كل الرضا ، ويخيل إلىّ أنك تماثلنى إلى حد كبير ، وأمامنا وقت غير محدود ، فإما أن نقضيه فى تبادل السباب وإما أن نرفه عن أنفسنا ، ما رأيك؟

الــرجــل : كيف تتحمل أعصابك الترفيه وهى تتوقع الموت بين لحظة وأخرى؟

المــــرأة : هى حال الإنسان بصفة عامة مع فارق بسيط هو أننا أعظم وعيا بالنهاية .

(صمت)

: فلنجــرب . .

(المرأة تقوم إلى البار فتجىء بزجاجة وكأسين. تملأ الكأسين. ترفع إحداهما إلى فم الرجل وتمسك بالأخرى)

: صحة لقائنا دون تعارف سابق .

(تشرب وتدفع بالشراب إلى فيه فيتقبله بفتور، ثم تملأ الكأسين مرة ثانية)

: صحة افتراقنا القريب بعد تعارف عميق !

(تشرب. تنظر إليه بتوسل حتى يشرب كأسه أيضا. ثم تملأ الكأسين للمرة الثالثة)

: صحة أسباب الهلاك التى لا حصر لها .

(تشرب. يشرب. تملأ الكأسين للمرة الرابعة)

: صحة الأحلام التى تقود إلى الهلاك.

(تشرب. يشرب. تنبسط أساريرهما بتأثير الخمر. يملأ هو الكأسين للمرة الخامسة)

: صحة الجنس الذى يمارس وسط العنف والشجار.

(تشرب. يشرب. يتأكد أثر الخمر. يملأ الكأسين للمرة السادسة)

الرجل : صحة الشرطة عدوة الأحلام.

(تشرب. يشرب. يتأكد أثر الخمر. يملأ الكأسين للمرة السابعة)

المرأة : صحة أول من اخترع حروف الهجاء.

(تشرب. يشرب. يتضح أثر السكر فى الحركة والصوت. يملأ الكأسين للمرة الثامنة)

الرجل : صحة أول رجل اخترع آلة للزينة.

(تشرب. يشرب. يملأ الكأسين للمرة التاسعة)

المرأة : صحة أول من كتب رسالة غرامية.

(تشرب. يشرب. يملأ الكأسين للمرة العاشرة)

الرجل : صحة الحلقة المفقودة.

المرأة : صحة المخبر الواقف بالطرقة خارج الشقة.

الرجل : صحتك.

المرأة : صحتك.

(يغرقان فى الضحك. يقفان وهما يترنحان)

الرجل : لننس العمر الذى عشناه فينتهى كل شىء.

المرأة : انتهى كل شىء.

الــــرجــــل : ولكنى لن أنسى أول أمنية داعبت فؤادى وأنا طفل .

المــــــــرأة : مـا هــى؟

الــــرجــــل : أن أكون بياع كسكسى !

(يغرقان فى الضحك)

المــــــــرأة : لنستمتع بشىء من الفن . . .

الــــرجــــل : فكـــرة .

(يذهب إلى التليـفزيون.. يديره. يظهـر موقف من فـيلم رعاة بقر يشتد فيه تبادل إطلاق النار. المرأة تصرخ مـتراجعة محتجة فيطفئ الرجل التليفزيون)

الــــرجــــل : هــلمى نرقـص .

(يرقصان بلا موسيقى. يتعمد ضمها إلى صدره. يقبلها من آن لآن. يتوقف عن الرقص ويرفعهـا بين يديه ليمضى بها ولكن توازنه يختل فيسقطان وهمـا يضحكان. ينطرحان جنبا لجنب وهمـا يضحكان. وهو يقـبلهـا كلما سكت عن الضـحك. لا مقـاومة من ناحيـتها ولكنهـا تزحف قليلا وتمد يدها فـتتناول سمـاعة الـتليفـون. تطلب رقمـا، وفى أثناء الحديث يتـابعـها الرجل بانتباه قليل لشدة سكره ولا يكف عن تقبيلها)

المــــــــرأة : آلـــو .

: . . . . . .

المــــــــرأة : مساء الخير ، أنت قلق طبعا ، آسفة . . .

: . . . . . .

المــــــــرأة : شربت كأسين تحت ظروف اضطرارية .

: . . . . . .

المــــــــرأة : لا وقت للإجـابة ، ليس الظرف مناسبـا ، ستـعـرف كل شىء من الصحف .

المـــــــرأة : لا تنتظرنى . . ولكن ثق من إخـلاصى . . حـتى آخـر لحظة . . أستودعك الله .

(تغـلق السـكة)

الـــرجـــل : تخونيننى جهارا؟

المـــــــرأة : الماضى يستحق أن نودعه .

الـــرجـــل : عفـــرية . .

المـــــــرأة : سأكون لك إلى الأبد!

الـــرجـــل : حتى الموت .

المـــــــرأة : حتى الموت .

الـــرجـــل : ولو امتد بنا العمر ساعة كاملة؟

المـــــــرأة : ولو امتد ساعة وربعا!

(جـرس البـاب يـرن. ينظران نحـو البـاب بانزعـاج رغم سكرهما. ينهـضان بصعوبة وتعـثر. تمضى نحو المقعـد حيث تركت حقيبتها)

المـــــــرأة : سيجدوننى جثة هامدة منتصرة .

الـــرجـــل : لن أفتح الباب .

المـــــــرأة : سـيكسـرونه .

الـــرجـــل : فلنتفق على الاعتراف بأننا زوجان .

المـــــــرأة : قلت للضابط خلاف ذلك .

الـــرجـــل : نعترف بأننا تزوجنا عقب ذهابه!

المـــــــرأة : هذه فترة كـافية لموتنـا ، أما الـزواج فيسـتغرق عـاما على الأقل .

(الجرس يرن متقطعا ولكن فى إصرار)

(الرجل يلتفت نحو الباب موليا المرأة ظهره.
المرأة تتناول من الحقيبة أنبوبة. تستخرج منها حبة. تزدردها بقية كأسها. تترنح ثم تسقط فوق الديوان منكفئة على وجهها، جثة هامدة. الرجل لم ينتبه إلى ما حدث. يتردد بين الوقوف وبين الذهاب إلى الباب. ينظر وراءه فيرى المرأة منكفئة على وجهها)

الـــرجـــل : غلبك السكر؟ . . نمت؟

(يتأملها دون مبالاة بجرس الباب)

: يالك من شابة جميلة حقا!

(الجرس يرن)

: أضعنا فى الخصام وقتا لا يعوض . .

(الجرس يرن)

: استريحى . . تخاصمنا كغرباء على حين تجمعنا طبيعة واحدة .

(يقترب منها، يميل فوقها كأنما ليقبلها وإذا بصوت صديقه ينادى من وراء الباب صائحا «افتح» يمضى مسرعا نحو الباب فيفتحه ضاحكا. الصديق يدخل ويغلق الباب وراءه)

الـــرجـــل : سيبت ركبنا ، عليك اللعنة .

الصـــديـق : من المرأة التى عندك؟

الـــرجـــل : الغيرة رجعت بك رغم الحصار . . يا لك من أحمق ما فكرت فى خيانتك قط!

(الصديق ينظر إلى المرأة ويضحك عاليا)

الصـــديـق : بعض الظن إثم .

الـــرجـــل : أنت أحمق .

الصـــديق : متى جاءت هذه المحبوبة؟
الـــرجـــل : كانت هنا من قبل زيارتك الأولى .
الصـــديق : ولِمَ أخفيتها عنى؟
الـــرجـــل : إنهَا المرأة التى تبحث عنها الشرطة .
الصـــديق : كم كأسا شربت؟
الـــرجـــل : لم أفكر فى حصرها .
الصـــديق : وهل المحبوبة نائمة؟
الـــرجـــل : من السكر والتعب . . ولكن ما حال الحصار؟
الصـــديق : القيامة قائمة .
الـــرجـــل : وحبيبتى نائمة .
الصـــديق : إنها جميلة . . من هى؟
الـــرجـــل : المرأة التى قامت القيامة من أجلها .
الصـــديق : أنت سكران .
الـــرجـــل : السكران لا يكذب .

(صمت)

الصـــديق : لـو صـح هـذا .
الـــرجـــل : تعاهدنا على الحب إلى الأبد .
الصـــديق : كنت تعرفها؟
الـــرجـــل : عرفتها منذ ساعة هجرية!
الصـــديق : وما جريمتها؟
الـــرجـــل : جريمة قامت لها القيامة .
الصـــديق : قتل . . مؤامرة . . ؟
الـــرجـــل : سألتها فاعترفت لى بحبها . . .
الصـــديق : لعنة الله على البار الأمريكانى . . خبرنى من هى؟

الـــرجـــل : امـــــرأة .

الصـــــديـق : اسمها ، أسرتها ، مهنتها؟ . . .

الـــرجـــل : لا اسم ولا أسرة ولا مهنة لها .

الصـــــديـق : ألا تعرف عنها أى شىء؟

الـــرجـــل : عرفنا أهم شىء وهو أننا سنموت بعد ساعة أو ساعتين!

الصـــــديـق : إنك مضجر ولا خير فيك .

الـــرجـــل : نحن ننتظر الشرطة فلا تفسد علينا ساعة الانتظار .

الصـــــديـق : لا سبيل إلى التفاهم معك ، سأذهب ، أستودعك الله .

الـــرجـــل : مع ألف سلامة .

(يتحرك الصديق للذهاب. جرس الباب يرن رنينا متواصلا)

: أخيـــــرا . . .

الصـــــديـق : (فى اضطراب) ماذا أنت فاعل؟

الـــرجـــل : سأفتح الباب قبل أن يحطموه .

(أصوات من الخارج تصيح «افتح.. افتح».

الرجل يذهب إلى الباب. يـفتحه. تنـدفع إلى الداخل قوة من الشرطة المسلحة على رأسها ضابط غير الضابط الأول)

الـضـــــابـط : أين الحجرة المطلة على الطريق العمومى؟

(الرجل يشيـر إلى حجرة النـوم. الضابط والقوة يهـرعون إلى الحجرة ويختفون داخلها)

الصـــــديـق : ما معنى هذا؟

الـــرجـــل : علىّ اللعنة إن كنت أفهم حرفا مما يقع حولى .

الصـــــديـق : يستحسن أن توقظ المرأة ، أى نوم هذا؟

الـــرجـــل : رد فعل طبيـعى للإنهاك والاضطراب والسكر ، دعـها تنعم بآخر هدوء يتاح لها فى حياتها!

(فجأة تترامى من الحجرة أصوات طلقات نارية كثيرة، تستمر وتتزايد. الرجلان ينحطان على ركبتيهما بحركة قاسية وهما فى غاية من الذعر)

الصديق : إنها معركة .

الرجل : إنها معركة بكل معنى الكلمة . . .

الصديق : هل العدو فى الطريق؟

الرجل : ولكنك رأيت الطريق محاصرا!

الصديق : لعله فى العمارة القائمة على الجانب الآخر .

الرجل : لا أفهم شيئا .

الصديق : يجب أن نغادر الشقة فورا قبل أن نصرع بالرصاص .

(الصديق يزحف على أربع حتى يغادر الشقة. الضابط يظهر فى باب الحجرة. يرى المرأة لأول مرة)

الضابط : هل أصيبت السيدة؟

الرجل : كلا . . إنها . . إنها مريضة . .

الضابط : الشقة معرضة للخطر . . غادرها بلا تردد .

(الضابط يرجع إلى الحجرة. الضرب فى تصاعد مستمر. رصاصة تصيب المصباح الكهربائى فيسود الظلام. شبح الرجل يزحف نحو المرأة. يهزها ليوقظها)

الرجل : استيقظى . . يجب أن تستيقظى . . .

(يهزها بشىء من الشدة)

: سأحملك بين يدى وأمرى لله . .

(يحملها بين يديه ويمضى بها نحو الباب بتعثر ومشقة وبطء)

: لم يجيئوا للقبض عليك ولا للتفتيش . . لقد نجوت يا

حبيبتى . . ونجوت أنا أيضا . . نجونا معا . سيمسى اليأس فى خبـر كـان . . نجوت ونجـوت . . وستكونين لى إلى الأبد .

(يغادر الشقة بحمله. الضرب مستمر)